

تشكيل العجائبي (في رواية المخطوطة الشرقية لواسني الأعرج)

إسمة ميسوم

جامعة بومرداس

مقدمة:

الرواية من أكثر الأنواع السردية مرونة، باستيعابها واستقطابها لمختلف الأجناس الأدبية، وبقدرتها على إبراز فاعلية الزمن و الكشف عن طبيعة الواقع وحقيقته، و الجرأة على قول المسكوت عنه. فماذا لو انفتح هذا الواقع على عالم آخر خارق للمألوف يتجاوز به الروائي حدود التقليد الروائي القديم عبر استدعاء العجائبي كواحد من الأجناس الأدبية المستحدثة.

المخطوطة الشرقية وإشكالية التجنس :

تسعى هذه المداخلة إلى الكشف عن تشكيل العجائبي في الرواية متخذة من رواية المخطوطة الشرقية لواسيني الأعرج نموذجا، ذلك أنها تثير فينا عديد الأسئلة التي تدخل في إطار تصنيفها. إنها رواية تصدم المتلقي منذ الوهلة الأولى بطريقة حكيها، و عجائبية عوالمها — من حيث أنها تصور واقعا مليئا بالمحرمات و الطقوس المرعبة و التقتيل و التعذيب — و تضعه في جو يجعله يحتار في درجة واقعية الأحداث من جهة و احتمالية عوالمها من جهة أخرى. كما تضع المتلقي في حيرة و هو يحاول تصنيف الرواية، هل يضعها في خانة الحكاية العجيبة؟ كونها تستعين بالراوي، وتستعير أجواء الحكى الشعبي (أجواء ألف ليلة و ليلة). أم يضعها في خانة الرواية الجديدة التي تجعل من التعجيب مغامرة من مغامرات الكتابة.

1. ملخص الرواية:

تنطلق الرواية من اللحظة التي انتهت فيها رواية " فاجعة الليلة السابعة بعد الألف، رمل المائة " وهي لحظة مقتل "الملياني"، وهروب " نوح ولد الملياني " رفقة الزنجية مربيته بمساعدة العملاء (العلماء الأنثربولوجيون). نوح ولد الملياني هو الشخصية المحورية في رواية المخطوطة الشرقية، مجنون الحكم و السلطان هذا يعمل على تأسيس "مشيخة أمادرور " بدعم من قوى خارجية غربية يمثلها " العلماء الأنثربولوجيون " على رأسهم "أوسكار".

كان لهؤلاء العملاء مخططا يهدف إلى مساعدة الملياني على تولي السلطة بعد تدبير اغتيال أعز أصدقائه، ثم دفعه إلى ارتكاب جرائم و فضائع في حق كل من يعارض سياسته ليسلموه في الأخير إلى جلاديه.

الليلة السابعة بعد الألف هي الليلة التي قتل فيها الملياني، و النهاية التي توجت سنين من التآمر، القتل و التنكيل، سياسة اتبعها الملياني لقيام " جملكيته ".

تربى الملياني في جو مليء بالحق و الكراهية نتيجة ظروف ميلاده، فهو و إن كان يُرجع نسبه إلى شهريار بن المقتدر ليس إلا ابنا لواحد من خدمه، و على هذا الأساس نشأت لديه الرغبة في التخلص من شهريار بن المقتدر و الظفر بالحكم. و بالفعل تمّ له ذلك فقد كان شعلة من الذكاء و الدهاء انظم إلى فريق العمال و كان عضوا بارزا، عمل على كسب ثقة نوح (الأصلي) فعينه مستشارا له، نائبا عن العمال، في الوقت الذي عين فيه عبد الرحمان نائبا عن العلماء.

عمل الملياني على كسب ثقة نوح أكثر فأكثر و تمكّن من ذلك " و في سباق مهموم مع زمن غامض، أصبح الجيش تحت إمرته ...¹. وكثّف تواجده في كل جزء من أجزاء المدينة، و شرع في تجسيد مخططه فعليا ببدء الانقلاب. " ففي يوم الاحتفال بالذكرى الأولى لسقوط شهريار و استعادة أفراح المدينة و خيراتها² قام الملياني بإنهاء الجزء الثاني من مخططه " كان الجيش الجمهوري بقيادته، يمرّ عبر خنادق العمال و العلماء و داخل شرايين المدينة، بعدما جردها من كل إمكانيات الدفاع الذاتي...³.

أوهم الملياني الجميع بما فيهم نوح، أن البلاد تتعرّض إلى عدوان خطير من أطراف مجهولة تسعى لتدمير البلاد، لم يكن هذا العدوان في حقيقة الأمر إلا مناورات أشرف عليها بمعية خبراء أجانب.

أراد عبد الرحمان أن ينقذ نوح فعرض عليه الفرار، لكنه أبى أن يكون جباناً، و الحقيقة أن الملياني لم يترك لنوح مجالا لذلك فقد سدّ جميع المنافذ و جعل عيوننا عليها و تركه يموت في صمت ليعلن في اليوم الموالي عن وفاته " منذ تلك اللحظة بدأ الركض السريع باتجاه تراث شهريار بن المقتدر، ... و كان الزمن الجديد قد توقف، ليبدأ زمن آخر، هو الامتداد الطبيعي لفاجعة الليلة السابعة بعد الألف...⁴.

حكم الملياني البلاد، فشرع في إعادة تقاليد أجداده، فمارس كل أنواع الظلم و الجور و القمع، إشباعاً لأطماعه و نزواته و إرضاء لأصدقائه الذين شاركوه و ساعدوه في تجسيد حلمه على أرض الواقع.

يقع خلاف بين " الملياني " و " أطلس الظواهري " حول تقسيم ثروات "مدينة الزيت" فيعلن هذا الأخير العصيان، ليرد عليه "الملياني" بإعلان الحرب بدفع من أصدقائه الذين وعدوه بالحماية.

وما إن يبدأ "الملياني" حربه على "الظواهري" حتى يتفاجأ بحملة إعلامية شرسة، تقودها وسائل الإعلام الغربية "...تطلب من الحلف الأطلسي ضرورة التدخل لإيقاف المجزرة ..."⁵. و بالفعل دُمرت كل المنشآت المدنية و العسكرية و الجيش الجمهوري الذي أسسه "الملياني"، ليستسلم في الأخير بعد تخلي أصدقائه عنه.

تظهر الرواية مدى صحة مقولة أن " التاريخ يعيد نفسه " ذلك أن علماء الأنثروبولوجيا اتبعوا السبيل نفسه مع " نوح ولد الملياني "، تماماً كما جاء على لسان والده مخاطباً واحداً من أتباعه المشاركين في عملية قتله " تبيعونني مثلما باعني الأصدقاء، وباعوا جدي من قبلي، و سيبيعون ابني من بعدي..."⁶ فقد رسموا له مخططاً يتماشى و دهنيات سكان " نوميديا أمدوكال ". كانت بدايته بتوزيع بيانات تنبئ بقرب قدوم رجل صالح من بينهم، يخلصهم من الظلم و ينشر الأمن و الأمان و السلم و الطمأنينة، لكن مخطوطات - خطت بخط مغربي - مناهضة لبيانات "الملياني"، تظهر على طول الشاطئ و تعكر صفاء الأجواء. تتتابع الأحداث و يواصل العلماء الأنثروبولوجيون في صناعة ودعم الحاكم "نوح ولد الملياني" لغاية ما، لم تظهرها الرواية بوضوح، مستغلين سداجة سكان "نوميديا أمدوكال" و أطماع "نوح ولد الملياني".

في الأخير توحى الرواية للقارئ بنجاح تلك المهمة بتأسيس " مشيخة أمادرور" للأمير "نوح ولد الملياني"، لكن هذا لا يعني أن النهاية كانت نهاية تقليدية حاسمة، بل نهاية مفتوحة على احتمالات عدة.

2. تشكيل العجائبي في رواية المخطوطة الشرقية :

اعتبر تزفيتان تودوروف الأدب العجائبي جنسا أدبيا مستقلا شأنه شأن الملحمة أو التراجيديا أو غيرها من الأجناس⁷. وبنى نظريته حول الجنس العجائبي على مقولة " التردد " ، التي تجعل من العجائبي جنسا مهددا بالزوال في أية لحظة ، فبمجرد أن يأخذ القارئ قراره و يحسم أمره ، تكون النقلة إلى جنس مجاور هو الغريب أو العجيب " فإذا قرر أن قوانين الواقع تظل غير ممسوسة وتسمح بتفسير الظواهر الموصفة قلنا أن الأثر ينتمي إلى جنس آخر هو الغريب. و بالعكس إذا قرّر أنه ينبغي قبول قوانين جديدة للطبيعة يمكن أن تكون الطبيعة مفسرة من خلالها دخلنا عندئذ في جنس العجيب "⁸ ، و رواية "المخطوطة الشرقية" لا تعدم تواجد هذه اللحظة (لحظة التردد) التي أشار إليها تودوروف في تحديده للأدب العجائبي.

3. التعجيب على مستوى الأحداث :

العجائبي ثورة حقيقية على المؤلف و الواقع بتجاورهما مع اللامألوف واللاواقع ، هذا التجاوز كثيرا ما يكون صادما للمتلقين ، نتيجة ظهور حدث أو أحداث خارقة و استثنائية في النص تهدد السير الطبيعي للأحداث و عليه يكون التردد و الحيرة في تفسير الظاهرة الخارقة بين ما هو طبيعي وما هو خارق من الشروط الأساسية لتحقيق العجائبي الذي يستدعي دائما تواجد الغرابة و الغموض واللامألوف المدمج في الواقع ، إما على مستوى الزمان و المكان أو الأحداث أو الشخصيات ، فقد يتشكل الحدث عجائبا لصدوره عن شخصية عجيبة أو ارتباطه بها ، أو بخروجه هو بذاته عن المؤلف و المعتاد في المتعين الواقعي.

كثيرا ما يصطدم القارئ و هو يواجه "المخطوطة الشرقية" بأحداث خارقة تثير فيه الشك و الريبة ما يجعله يتردد في اتخاذ قرار نهائي اتجاه تلك الأحداث ، و كثيرا ما كانت الشخصيات تساهم بشكل كبير في تعميق هذا التردد.

فالشخصية المحورية في الرواية "نوح ولد الملياني " كان عليها أن تختار بين تأويلين مختلفين و هي ترى " عبد الرحمان " وقد عاد إلى الحياة بعد أن أُعدم ، فنجدتها تعلن عن حيرتها " ... لا يعقل شيء ما يحدث ، غير معقول و غير طبيعي ، عبد الرحمان ردم منذ أكثر من نصف قرن ، هو نفسه عمر انتظاري "⁹ ، و تواصل إظهار حيرتها " هل هو عبد الرحمان حقيقة ؟ أو ظل من ظلاله المتعددة داخل سواحل أمادورور المهجورة ... "¹⁰ . " جاؤوا يبحثون عن علامات صوفية لتفسير رموز نص غامض ، عن عظام رجل أبيد منذ زمن بعيد ... و هاهم الآن يواجهون رجل يمشي على قدميه ... لم يتحول بعد إلى رفات "¹¹.

هو إذن حدث لا يخضع لقوانين الطبيعة التي ألفناها ، على درجة كبيرة من الغرابة ،
يثير تساؤل القارئ الذي ناب عنه "سقراط" * هل يمكن لإنسان أن يعيش خمسين سنة في نفق
نثن مثل هذا ؟ ¹².

لقد شاركت شخوص الرواية القارئ حيرته و تردده في قبول ما يدور حول شخصية
"عبد الرحمان" ، نجد أوسكار يتساءل " أين ذهب هذا الرجل ؟ كأن الأرض انشقت و ابتلعتة ،
أو تحلل بسرعة! " ¹³ ، ويشاركه سقراط الشعور نفسه :
" - لا يعقل ! .

14" ce n'est pas possible ! 49 balles sans qu'il soit dérangé -

لكن الخطوة الموالية تبدوا أكثر تأثيرا ، يظهر حدث يقف الواقع عاجزا على
تفسيره ، حدث يكسر أفق انتظار المتلقي ، تظهر جثة "عبد الرحمان" التي أدهشت علماء
الأنثروبولوجيا و"نوح ولد الملياني" الذي تتمتع بـ "هو نفسه عبد الرحمان الذي كان يحدثنا
قبل قليل و قد يبس الجلد على العظم" ¹⁵.

احتفظت الرواية بالغموض الذي أحاط بحدث ظهور "عبد الرحمان" حيا بعدما أعدم ،
ثم العثور على جثته من جديد ، وبهذا لم يسمح للمتلقي اتخاذ قرار نهائي بخصوص الحدث
فيبقى العجائبي قائما بامتياز ، لان خاصية التردد ضمنت له الاستمرارية.

كان لتواجد العجائبي في الرواية دورا كبيرا تمثل في خدمة السرد إذ نجد على الأغلب
مرحلة توازن يقطعها العجائبي ليخلخل ذلك التوازن " عبر متتالية سردية تؤدي إلى بناء توازن
جديد يتأسس على المؤلف أيضا و ينتهي بذلك النص " ¹⁶.

" بعد صلاة الفجر ، شعرت في أعماقي كأنني أدت صلاة جنازة ومع ذلك ، لم أرد أن
أقف كثيرا عند هذا الفراغ الذي أصبح لونه غير مرئي ولكني أقسم بكل الدنيا بأني رأيت
عيني الزنجية عالقتين في البلغة الفاسية ، تتأملانني ، وبدون أن أدخل في حسابات ما إذا كان
ما رأيته صحيحا أم مجرد خيالات متعبة طوحت عاليا بالبلغة داخل أعماق البحر ، لدفنها
هناك نهائيا ولكن الموجة المتكسرة ، سرعان ما أعادتها لترتمي البلغة عند أقدامي وداخلها
عينا الزنجية... " ¹⁷.

* سقراط هو أحد شخوص الرواية ، واحد من علماء الأنثروبولوجيا.

استهل المقطع بحالة توازن يمثلها حزن بطل الرواية "نوح ولد الملياني" على مربيته "مسعودة" التي قام بقتلها إرضاء لحبيبته "سارة"، ووقوفه وسط الفراغ ينشد الراحة النفسية، يقطع هذا التوازن حدث آخر، هو ظهور البلغة الفاسية حاملة عيني الزنجية، وكاد القسم "...اقسم بكل الدنيا بأنني رأيت عيني الزنجية..."¹⁸، أن يخرجنا من جنس العجائبي إلى جنس آخر هو الغرائبي. ذلك أن في القسم تأكيد للموقف، وهذا يتنافى والعجائبي الذي يستلزم حضور خاصية التردد. لكن عودة هذا الشرط الأساسي في المقطع الموالي "...و بدون أن ادخل في حسابات، ما إذا كان ما رأيته صحيحا أم مجرد خيالات متعبة..."¹⁹ أدخلنا من جديد في دائرة العجائبي لتعود في النهاية لحظة التوازن بلمسة من سارة حبيبة البطل.

ساهمت سلسلة التشبيهات والتعابير البلاغية أو الاصطلاحية التي طبعت الرواية بشكل كبير في قيام العجائبي على مستوى الأحداث، باعتباره جزءا من المظهر التركيبي للحكاية.

على هذا الأساس يُوظف العجائبي في العادة كعنصر جمالي في الرواية، ما يعني أنه "يمكن أن يكون ناتجا عن التركيب اللفظي و اللغوي الذي يستعمله السارد للتأكيد على حالة نفسية أو رؤية أو فكرة. و لا بد لهذه الأفكار أن تتجسد في إشارة بلاغية (تشبيه أو استعارة)"²⁰ في المبالغة في تصوير الأحداث و المشاهد.

في هذا الإطار استدعى واسيني الأعرج الطقوس القديمة التي انبنت على تقديم القرابين استرضاء للآلهة لإضفاء عنصر المبالغة و الوصول إلى قمة العجائبي لحظة تنصيب "الملياني" على رأس مدينة "نوميديا أمدوكال". أين أتوه بثور ضخم مربوط الرجلين بإحكام، و أعطيت له مطرقة ثقيلة، و طلب منه أن يضرب رأس الثور، و ظل يضرب بكل قوة حتى انفلق الرأس. مدّ يده و أخرج مخ الثور و وضعه في فمه، و طلى جزءا كبيرا على وجهه..."²¹. ينشأ من هذا الحدث حالة تردد يظل بفعالها السرد خاضعا لوطأة العجائبي طيلة الفترة الزمنية الذي تستغرقها حالة التردد، لخرقه الشديد للواقع، لكن بمجرد أن يحسم القارئ أمره، ويقرر أن قوانين الطبيعة تظل سليمة حيال هذه الحادثة، و تسمح بتفسير الظاهرة الموصوفة (" الملياني " مريض نفسيا و غريب الأطوار)، يبطل كل تردد، و يوضع حد للعجائبي، ويفتح المجال أمام جنس آخر مجاور له هو الغريب.

ولا يبتعد مشهد مقتل "الملياني" عن عالم العجائبي "تقدم نحوه رجل أسود ... و قبل أن يتأمل عينيه الحمرأوين انغرست السكين اللامعة في بطنه...ثم أدخل يديه في عمق الجرح، و بدأ يخرج الأمعاء و يلويها على قضيب حديدي... و كلما تكاثرت خشخشة اللي، شعر بالموت يقترب منه خطوة أخرى"²². لكن الروائي يحاول إبطال هذه اللحظة، لحظة التردد، ليتلاشى العجائبي و يفسح المجال لجنس مجاور له، وذلك بالاستعانة بالقسم الذي يؤكد على واقعية الأحداث "يقسم الذين رأوا مشهد الموت أن الحالة كانت حقيقية بكل مواصفاتها و لم تكن من خيالات المؤرخين"²³.

إن في وصف الطرائق المختلفة لموت ضحايا "الملياني" جانب كبير من التعجيب، حيث يصور ابنه الرضيعة و هي تواجه مصيرها على يديه قائلاً "دفعت بها إلى المدفئة الآجورية القديمة، ثم أغلقت زجاجها الغليظ، و بدأت أتأمل وجهها و هي تفتح فمها و تذوب مثل قطعة بلاستيكية صرخاتها كلها كانت مكتومة تنتهي بسرعة داخل المدفئة. في البداية خرج الزبد من طرف فمها، لكن بعدها ظلت تتفحم و هي راشقة عينيها بقوة في"²⁴.

يخيل للقارئ وهو يواجه مشهد كهذا، أنه أمام فيلم من أفلام الرعب، فقد بلغ العجائبي في هذا المشهد أقصى درجاته بفضل التشبيه و المبالغة في وصف الأحداث.

هذا و قد كان لتواجد صيغ الاستفهام في الرواية دورا فاعلا في تعميق خاصية التردد التي يقوم عليها العجائبي، وقد وُظِّفَت هذه الأخيرة بشكل خاص في الجزء المتعلق بغموض شخصية "عبد الرحمان" في الرواية، يتساءل "نوح ولد الملياني" عن حقيقة "عبد الرحمان" قائلاً "هل هذا الرجل الذي يلبس لباس العلماء كما وصفته الكتب النادرة هو حقا عبد الرحمان لحما و دما بعد خمسين سنة ؟ من أين يأتي هؤلاء الخلق ؟...من الكتب و القواميس و المخطوطات العجيبة؟...كيف يعودون و قد طُحِنُوا..."²⁵. ويضيف " ...الذي حدث أمام أعيننا يستوعب بصعوبة نادرة عبد الرحمان من إنسان بلحمه و دمه إلى كتلة لحمية منغرسه في الاسمنت مرّت على موتها عشرات السنين "²⁶.

و من هنا يمكننا القول " ...إن فوق الطبيعي يولد في اللغة و هو في الوقت ذاته ناتج عنها و دليل لها إذ، ليس هناك شياطين و هامات إلا في الكلمات و حسب لأن وجود اللغة وحده يسنح دائما باستحضار ما هو غائب..."²⁷.

كثيرا ما تقوم الرواية العجائبية على سر أو مجموعة من الأسرار، لتتمية لحظة التردد و تعميقها، ذلك أن العجائبي يظل قائما بامتياز - رغم المخاطر المحيطة به - من بداية الرواية إلى نهايتها، و هذا ما لمسناه في رواية "المخطوطة الشرقية"، حيث أضفى الروائي واسيني الأعرج على روايته جوا من الغموض و التمويه بعالم مليء بالأسرار و الألغاز، لا يكشف واحد منها إلا ويحل محله سر آخر، و من الأمثلة البارزة في النص نذكر :

- المخطوط أو البيانات المناهضة "لنوح ولد الملياني"، التي لا يُعرف مصدرها إلا ببلوغ القارئ الصفحة 315 من الرواية حيث يقوم "أوسكار" بطمأنة "نوح" قائلاً " خيط رقيق أوصلنا إلى الحقيقة، الصياد كان معنا في المصفاة القديمة، ضبطناه باكرا بالجرم المشهود

28"

- كتاب المدينة أو المخطوط الشرقي و السر المحيط به، و الذي ظل قائما إلى غاية الصفحة 152 أين تظهر نسخة من "المخطوط الشرقي"، تقود "نوحا" و من معه من العلماء الأنثربولوجيين إلى المصفاة لمحاولة فك رموز المخطوط.

ينكشف سر المخطوط أو بالأحرى بعضه، ليظهر سر آخر يتعلق بحقيقة شخصية "عبد الرحمان"، و بقائه حيا طيلة هذه السنين في مصفاة، كلها غازات و روائح نتنة.

- حقيقة علماء الأنثربولوجيا التي بغامضة و يظهر ذلك في تساءل نوح ولد الملياني "هل هؤلاء الناس علماء أو عملاء ؟ أم شغالون مندغمون ضمن مشاريع CIA الكثيرة في المنطقة" 29

4. التعجيب على مستوى الشخصيات:

تمثل الشخصية في الرواية أهم الركائز الفنية المؤسسة للبناء الفني، فهي المحور الذي تدور أحداثه حوله و كذلك العقدة، فصلة الشخصية بعناصر الرواية من حدث و لغة و فضاء، وثيقة للغاية فهي تسمح لنا من خلال اللغة " الحوار " أن نتعرف على الأبعاد الثقافية و الاجتماعية للشخصيات.

لقد ربطت الرواية بين الشخصية و الحدث، لدرجة أن يرافق كل تغيير في موقف الشخصية تطور في أحداثها، كما يؤدي الحدث إلى تغير موقف الشخصية³⁰.

ومن هنا تأثر الرواية وتتأثر ببقية عناصر الرواية الملتفة حولها حيث تسهم في إبراز أبعاد الشخصية و السمات المصاحبة لظهورها في العمل الأدبي، سواء تم تشكيلها من صلب الواقع المعيش، أو من الواقع المتخيل بأبعاده التاريخية أو الأسطورية أو الخرافية.

تتمحور أحداث رواية "المخطوطة الشرقية" حول مجموعة من الشخصيات انتخبنا منها شخصية "نوح ولد الملياني" كشخصية أساسية و "الملياني ابن المقتدر" (والده) كشخصية محورية ساهمت في تفعيل الأحداث.

يمثل "نوح ولد الملياني" الخيط الذي يشكل نسج مختلف الشخصيات في الرواية. من خلال قراءة لهذه الشخصية، يظهر انتقالها في علاقاتها مع شخصيات الرواية الرجالية و النسائية، مما يسمح لها بالامتداد عبر سير الأحداث، إلى أن تكتمل نهايتها. وقد أجاد الكاتب تحريك كل شخصيات روايته رغم تعدد مستوياتها و تباين نوازعها، بما يخدم الحدث الأساسي في الرواية.

تُجسد شخصية "نوح ولد الملياني" العجائية، انطلاقاً من ميلادها العجيب. إذ هي على غرار الشخصيات العجيبة ذات ميلاد عجيب، و هي و إن كانت تولد كما يولد بقية الناس من أجساد أمهاتهم، تحمل صفات تميزها عن هؤلاء الناس، و بالتالي قدم السارد شخصية "نوح ولد الملياني" في إطار عجائبي، منذ لحظة الميلاد. هو كائن بشري لكنه يتقاطع مع الكائنات الخرافية الأسطورية و حتى المسوخ في صفاته الخارجية.

فسح الكاتب المجال أمام الشخصية نفسها (نوح ولد الملياني) للتعبير عن أفكارها، عواطفها، اتجاهاتها و ميولها لتكشف بالتالي عن رؤيتها لنفسها، يقول في هذا السياق " من يراني على هذه الحال لن يصدق، و لن يقول عني إني من سلالة الملوك والسلطين ³¹. و يضيف في السياق نفسه " هكذا قال المنجمون لوالدي، في سن متأخر، ستخرج من رأس أحدكم، داخل سلالتيكم قرون، وقتها سيكون وراء الأمر علامة! ³². و لم يكن تدخل صوت السارد إلا بقدر محدود، لكنها كانت تكشف في كل مرة عن وجود سارد عليم بكل الأحداث، حتى تلك التي لم تكشف بعد، أو لم تتجرأ الشخصيات على كشفها، يقول السارد واصفا طبيعة العلاقة التي جمعت بين نوح ولد الملياني و سارة (اليهودية) " فمنذ أن عرف سارة بجسدها البحري المصقول أصبح لا يستشير الزنجية مطلقا. حتى رغبته في

الحديث معها قلّت كثيرا. زادت شهوته للكتابات الذاتية و البحر، و لكنه ظلّ يجمع نفسه بكل عنف. من أراد إن يكون شاعرا عليه إن لا يفكر في السلطان مطلقا³³.

هي تفاصيل لم يتجرأ "نوح" على الاعتراف بها حتى لنفسه نتيجة المكانة التي تحتلها الزنجية مربيته في قلبه من جهة، ورغبته المطلقة في سارة، و الحياة الجديدة التي وعد بها. كما يكشف لنا السّارد (العليم) عن الطقوس التي يمارسها "نوح" كل صباح "لكن طقوسه اليومية لم تتغير إلا قليلا ... بدأ من السفينة، مرورا بالبيان الذي يزرعه على الرمال ... ثم عملية العبور التي لا تنتهي بنهاية الحدود التي وضعها في الساحل و وصفها له صديقه أوسكار".

أما شخصية "الملياني" التي تسربت إلى الرواية من رواية "فاجعة الليلة السابعة بعد الألف، رمل المائة"، لم يكن لها تواجد فعلي في الرواية لكنها ساهمت بشكل كبير في تطور الأحداث، لقد كانت الموضوع الأساسي للحوار الذي دار بين "عبد الرحمان" و "نوح" و علماء الانثربولوجيا، كما كانت الشخصية الرئيسية في "المخطوط الشرقي" (كتاب المدينة).

أوكل الروائي أمر الكشف عن سمات الملياني الداخلية و الخارجية إلى شخصيتين "نوح" و "عبد الرحمان"، و من حين إلى آخر إلى "أوسكار". يقول "نوح" في سياق وصفه لمراسيم تنصيب "الملياني" و الانتهاكات التي قام بها " كانت خلقته مشوهة. بدانته مرهقة، سحبت معها الرغبة حتى صار مثل الضفدعة³⁴. و يضيف مظهرا شعوره اتجاه والده " احقد عليه بكل عنف وبشكل مرضي³⁵. و في مقطع آخر يظهر لنا "نوح" شذوذ "الملياني" بكثير من المبالغة فيقول " جاؤوه بالأطعمة الغريبة المكونة من عقاقير مركبة من أعضاء تناسلية مسحوقة لأطفال صغار، و بعض الفضلات الآدمية ...³⁶. هذه المبالغة في الوصف جعلت من الصعب على العقل الإنساني أن يصدق، أن يُقبل أدمي على فعل كهذا.

كشف "نوح" ولد الملياني" و "عبد الرحمان" عن خلفيات "الملياني" الاجتماعية، النفسية و الدينية، فهو رجل مهووس بالسلطان لا يعدم وسيلة لبلوغ غايته، الغاية عنده تبرر الوسيلة. و هو في هذا يتشارك مع "نوح" (ابنه).

من سمات البطل في الحكايات العجيبة أن يخضع للتيه أو البحث الطويل، و هذا ما نلمسه في رواية "المخطوطة الشرقية" فالطابع العجائبي المهيمن على معالمها أو بالأحرى على

أجزاء منها، يعني انطواء الرواية على سر و بحث و مغامرة، من هنا تأتي صورة البطل التائه لتدعم فكرة التحول و الانتقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة فوق الطبيعية ففي عالم يحتوي معنى خفيا يخضع البطل إلى التيه، فيكشف و يفك الرموز؛ أو انه يبحث طويلا³⁷.

إن شعور الشخصية بالتيه يستدعي ظهور المرشد الذي يقوم بمساعدة البطل التائه وإرشاده، على هذا الأساس وظف الروائي و سيني الأعرج، شخصيات مساعدة تقوم بإرشاد البطل منها "أوسكار" الذي انقذه من شبح الموت وأعد له الظروف الملائمة لقيام (مشيخة أما درور)، و "مسعودة الزنجية" التي تعهده صغيرا، وسهرت على راحته، وبقيت مخلصه له إلى آخر لحظة من حياتها. إضافة إلى شخصية الشيخ الحكيم، التي لم يكتمل مهامها في إرشاد البطل، و بهذا لم يسمح له بلعب دوره على غرار الروايات العجيبة، التي لا تستغني عادة عن شخصية الشيخ الحكيم.

خاتمة:

كانت الظروف السياسية والاجتماعية التي عاشتها الجزائر في العشرية السوداء المؤطر العقلي لفعل الكتابة عند واسيني الأعرج. الذي سعى طيلة هذه الفترة للدخول إلى كل المساحات الممنوعة في العرف الاجتماعي، و تكسير كل الطابوهات، والجرأة على قول المسكوت عنه، فقد نحت نصوصه عامة و نص "المخطوطة الشرقية" على وجه الخصوص منحى جديدا في حقل الرواية المغاربية التي تتوسل مختلف الأجناس الأدبية، لإثراء مضامينها، و الابتعاد عن التكرار و التقليد المبتذل.

إن اختيار واسيني للعوالم العجائبية في رواية "المخطوطة الشرقية"، جعل القارئ يصطدم في كل مرة بتجاوز المؤلف واللامألوف، ما يجعله يستفز ويدفع دفعا لإعادة القراءة بتعمق أكبر، ليخرج من كل قراءة برؤى وتأويلات عدة، نتيجة لانفتاح النص وقابليته لأكثر من قراءة.

1 واسيني الأعرج : رواية المخطوطة الشرقية، دار المدى للثقافة و النشر، دمشق، سوريا، 2002، ص

2 الرواية ص 92

3 الرواية ص 92

4 الرواية ص 103

5 الرواية ص 127

6 الرواية ص 117

7 تزفيتان تودوروف : مدخل إلى الأدب العجائبي، ترجمة صديق بوعلام، مراجعة محمد برادة، دار

الكلام، الرباط، ط1، 1993، ص31

8 تزفيتان تودوروف : مدخل إلى الأدب العجائبي، ص57

9 الرواية 275

10 الرواية 275

11 الرواية ص 194

12 الرواية 279

13 الرواية 279

14 الرواية 279

15 الرواية 218

16 لؤي خليل: عجائبية النشر العجائبي، أدب المعراج والمناقب، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر،

دمشق 2007، ص20

17 الرواية ص 380

18 الرواية ص 380

19 الرواية ص 380

20 حسين علام : العجائبي في الأدب من منظور شعرية السرد، الدار العربية للعلوم و ناشرون،

منشورات الاختلاف ط1 بيروت، لبنان

21 الرواية ص 57

22 الرواية ص 269

23 الرواية ص 269

24 الرواية ص 233

25 الرواية ص 224

- 26 الرواية ص 290
- 27 تزفيتان تودوروف : مدخل إلى الأدب العجائبي ، ص 110
- 28 الرواية ص 315
- 29 الرواية ص 322
- 30 عبد المحسن طه بدر: تطور الرواية الحديثة في مصر 1870- 1938 ، القاهرة دار المعارف ، 1963 ، ص 197
- 31 الرواية ص 25
- 32 الرواية ص 26
- 33 الرواية ص 145
- 34 الرواية ص 70
- 35 الرواية ص 167
- 36 الرواية ص 57
- 37 رم آلبيرس : تاريخ الرواية الحديثة ، ترجمة جورج سالم ، ط1 ، بيروت ، لبنان منشورات عويدات 1927 ص 421.

